الأنا والآخر في روايات إنعام كجه جي

م.م. بشرى ابراهيم عبد الامير حسن

bushra.i.a@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية /كلية التربية

الملخص

يمكن القول إن مفهوم الأنا والآخر أصبح من المفاهيم الإشكالية؛ حيث انتشر بشكل كبير في الرواية العربية، وخاصة في ظل ظروف خاصة جعلت الكتاب يبرزون إلى الأنا ويدافعون عنها، ويرون في الآخر الاختلاف والتمايز عن الأنا.

وتشكل روايات إنعام حقلاً خصباً للأنا والآخر؛ بسبب ميل الروائية إلى تأكيد الانتماء والأنا عبر أعمالها، ولذا تناولت هذه الدراسة الروايات الأربعة لها؛ وهي سواقي القلوب، الحفيدة الأمريكية، طشاري، النبيزة، وحاولنا استقصاء صور الأنا والآخر؛ بسبب ظهور هذه الثنائية بقوة في أعمالها، وتم اختيار هذه الروائية بقصدية واضحة اعتمدنا فيها على آليات حضور وتشكل الأنا وصراعها مع الآخر.

وكان هدف البحث تسليط الضوء على النظرة النقدية للأنا والآخر، ثم تطبيق هذه النظرة على روايات الكاتبة؛ لإبراز كيف وظفت الروائية هذه الثنائية، ما هي النماذج التي أطرت الآخر فيها، وما هي الأسباب التي خلقت من أجلها الصراع بين الأنا والآخر .

اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي المقارن، والذي يتناسب مع هذه الدراسات؛ إذ أنه يعتمد على تحليل الرواية، واستخراج الصور ووصفها وإدراجها ضمن عناصر وفق اشتراكها في طبيعة الأنا والآخر الذي عبّرت عنه.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الصراع، الاغتراب.

The Self and the Other in the novels of Inaam Kachachi

Asst. Lect. Bushra Ibrahim Abdul Ameer

Mustansiriyah University/ college of Education/ Arabic Language

Abstract

It can be said that the concept of the self and the other has become a problematic concept. It spread widely in the Arabic novel, especially under special circumstances that made writers highlight the ego and

defend it, and see in the other the difference and distinction from the ego.

Inaam's novels constitute a fertile field for the self and the other. Because of the novelist's tendency to emphasize belonging and ego through her works, this study examined her four novels. She is the driver of hearts, the American granddaughter, Tashari, and Al-Nahina, and we tried to investigate the images of the self and the other. Because this duality appears strongly in her works, this novelist was chosen with clear intention in which we relied on the mechanisms of the presence and formation of the ego and its struggle with the other.

The aim of the research was to shed light on the critical view of the self and the other, and then apply this view to the writer's novels. To highlight how the novelist employed this duality, what are the models in which she frames the other, and what are the reasons for which she creates the conflict between the self and the other.

The nature of the study required following the descriptive analytical comparative approach, which is appropriate for these studies. It depends on analyzing the novel, extracting images, describing them, and including them among elements according to their participation in the nature of the self and the other that it expresses.

This study was divided into an introduction, two sections, and a conclusion, which contains the most prominent findings of the study

Keywords: ego, other, conflict, alienation

مقدمة:

أخذ موضوع الأنا والآخر، ولا يزال أهمية بارزة في الكتابات الفكرية والنقدية وفي شتى العلوم الإنسانية، باعتبار أن الكشف عن الأنا لا يتأتى إلا من خلال الحاضر باستمرار معها وفيها، وهي علاقة من شأنها أن تنهض على افتراض الغيرية التي يتألف منها الوجود الإنساني المتضمن دوماً قطبين مختلفين، بل إن القضية كثيراً ما تتوالد وتتعدد حتى صار من العسير تحديد صفة الأخيرة، في عصر يهدف إلى إلغاء الحدود الفاصلة بين الأنا والآخر واختزالها

ضمن نطاق واحد هو الأنا الجمعية، الأمر الذي يطرح العديد من مفارقات الهوية والانتماء بالنسبة إلى الأنا نتيجة شعورها الحاد بفقدان خصوصيتها في علاقتها الجدلية مع الآخر.

كما تعد ثنائية الأنا والآخر من الثنائيات التي أثارت اهتمام الباحثين كونها تكشف عن الكثير من الصور الخفية الكامنة في اللاوعي، وفي الأدب أخذ هذا الموضوع أهمية بارزة؛ باعتبار أن الكشف عن صورة الأنا لا يتأتى إلا من خلال الكشف عن صورة الآخر، كما توجهت النصوص النقدية نحو الرواية لاستجلاء هذه الصورة، التي لم تظهر فيها إلا من فترة قريبة، ومنذ ظهورها وهي تجسد هذه الثنائية عبر مجموعة من الرؤى والصور المتقابلة، سواء كانت سلبية أم إيجابية، تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب وثنائية الذكورة الشرقية والأنوثة الغربية.

ونظراً لحساسية موضوع الأنا والآخر في الرواية العربية، جاء اختيار هذا البحث ليناقد هذه الثنائية في أربع أعمال روائية للكاتبة أنعام كجه جي؛ وذلك بسبب ظهور هذه الثنائية بقوة في أعمالها، وتم اختيار هذه الروائية بقصدية واضحة اعتمدنا فيها على آليات حضور وتشكل الأنا وصراعها مع الآخر.

وبناءً على ما سبق تمّ طرح الإشكالية التالية: من هو هذا الأنا؟ ومن هو هذا الآخر؟ وما العلاقة التي بينهما؟ كيف كان الصراع بين الأنا والآخر؟

وكان هدف البحث تسليط الضوء على النظرة النقدية للأنا والآخر، ثمّ تطبيق هذه النظرة على روايات الكاتبة؛ لإبراز كيف وظفت الروائية هذه الثنائية، ما هي النماذج التي أطرت الآخر فيها، وما هي الأسباب التي خلقت من أجلها الصراع بين الأنا والآخر .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي المقارن، والذي يتناسب مع هذه الدراسات؛ إذ أنه يعتمد على تحليل الرواية، واستخراج الصور ووصفها وإدراجها ضمن عناصر وفق اشتراكها في طبيعة الأنا والآخر الذي عبّرت عنه.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتم تقسيمه إلى مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة على الشكل الآتي: مقدمة.

المبحث الأول: الأنا والآخر في الدرس النقدي العربي

المطلب الأول: مفهوم الأنا والآخر في كتابات النقاد

المطلب الثاني: التعريف بالروائية

المطلب الثالث: لمحة عن الروايات.

المبحث الثاني: الأنا والآخر في روايات إنعام

المطلب الأول: الأنا والاعتراب المكاني

المطلب الثاني: الآخر ونماذجه في الروايات

المطلب الثالث: الصراع بين الأنا والآخر.

المبحث الأول: الأنا والآخر في الدرس النقدي العربي:

تعتبر إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر من الإشكاليات المعاصرة، التي شغلت اهتمام الأدباء والمفكرين والفلاسفة والنقاد والمؤرخين والمتقنين العرب على حد سواء، فجعلوا منها موضوعاً لإبداعاتهم الأدبية والفنية والفلسفية والنقدية وحتى التاريخية، ولا سيما إذا كان الآخر هو العدو حيث يضع الأنا في موقع صراع وجدل على الدوام.

يتحدث هذا المبحث عن مفهوم الأنا والآخر في كتابات النقاد، ثم يعرف بالروائية التي يدور البحث عنها، ويقدم لمحة عامة عن الروايات قيد الدراسة.

المطلب الأول: مفهوم الأنا والآخر في كتابات النقاد:

ليس من السهولة دراسة الأنا والآخر في الأعمال الأدبية؛ بسبب تعدد صور هذه الثنائية واتساع معناها. وفي البدء يجب تحديد مفهوم الأنا والآخر في مجال الدراسة الأدبية والنقدية.

والأنا مصطلح شائع في الحياة اليومية، وكذا العملية فهو يعتبر من الضمائر الموجودة داخل النصوص الأدبية، ومن تعريفات الأنا أدبياً، ما يلي: الأنا هي "شعور يبرز الذات بشكل طلع بحيث ينشط الفنان ضمن دائرة لا تتعدى حدوده الشخصية" (بوزواوي، ٢٠٠٣ م، ص ٤٣) فالأنا هنا تعبر عن الذات التي تجعل الفنان ينحصر في دائرة الحدود التي يخلقها الشخص بنفسه.

وتعني الأنا في المجال الأدبي: "أنه لا يوصف بأنه الضمير الأدبي الذي يبرز محققاً الوعي الذاتي، ويتموضع في العمل الأدبي بضمير المتكلم والمخاطب والغائب، وإنما يوصف بكونه مجموعة الضمائر التي تنشأ الوحدة" (جنيد، ٢٠١٥ م، ص ٢٣) فهي الضمير الذي يعبر عن ذات الفرد داخل سياق ما، أو في نص أدبي من خلال ارتباطه مع ضمائر أخرى، والتي تحدد المعنى المراد منه، ويمكن أن تكون هذه الأنا ظاهرة في العمل الأدبي، أو مضمره يستدل عليها عبر القرائن.

وفي مقابل الأنا يأتي الآخر، وهو في النقد يعبر عن "المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي" (حمود، ٢٠١٣، ص ١٧). فالآخر هو ما يختلف عن الأنا سواء في انتمائه الديني أو الفكري أو حتى من ناحية عرقه.

ويمكن القول إن الآخر في أبسط صورته هو: "مثل أو نقيض الذات أو الأنا، وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الاستعماري وكل ما يستثمر أطروحاتها مثل النقد النسوي والدراسات الثقافية والاستشراق" (البازغي، ٢٠١٧، ص ٢١) فالآخر هو مثل الذات (الأنا) وقد كان موضوعاً شائعاً في الدراسات النقدية في المرحلة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية.

وفي الواقع، قد يرتبط مفهوم الآخر دائماً بمفاهيم مجاورة، خاصة في الدراسات الفكرية والنقدية، أبرزها: الاختلاف، الثقافة، الحضارة، الاستشراق، العرقية، الأقليات، المركز، الهامش، الخطاب، فالآخر أو الآخرين هم: " فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو الأنا، فإذا حدّنا هوية الأنا كان الآخر فرداً أو جماعة يحكم علاقته بالأنا عانى التمايز وهو تمايز إطار الهوية أحياناً والإجراء في أحيان أخرى" (محمد، ٢٠٢٠، ص ٢٣٥). وهكذا فلا يمكن لآخر دون وجود الأنا، فلا بد من توفر شروط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما فكلاهما يحدّد غيره ويحيل إليه، فمجرد قول عبارة صورة الآخر يتبادر مباشرة إلى الأذهان مفهوم الذات أو الأنا.

إن ظاهرة الآخر ظاهرة متجذرة في الوجود الإنساني والعلاقة مع الآخر بمعناها العامّة، هي علاقة مع الوجود الذي يمثل الإنسان جزءاً منه، شاء أم أبى، وطبيعة هذه العلاقة هي التي تحدد هوية الإنسان وموقعه من الموز ودوره فيه، ومع تطور مجالات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي أصبح مفهوم الآخر من أكثر المفاهيم حضوراً في الدراسات الثقافية والسياسية والفكرية، في معظم مناطق العالم على حد سواء. (البيبي، ١٩٩٢٠١، ص ٣٧٧). فالآخر لدينا هو كل ما يتم التعامل والتفاعل معه ويتخذ منه موقفاً سلباً أو إيجاباً في إطار هذا التفاعل. إن مصطلح الآخر كان حاضراً في معظم الدراسات الثقافية فهو كان يخرط ضمن البحوث المتخصصة في الحديث عن التواصل الذي يقوم بين طرفين يكون فيه الطرف الثاني آخراً للطرف الأول حتى لو كان ينتميان لمجتمع واحد ونسق ثقافي واحد.

وطرحت علاقة الذات بالآخر نفسها بوصفها إشكالية مركزية في العلاقات الحضارية خاصة بين الشرق والغرب، وأثارت صراعاً وجدلاً بين الشرق والغرب، وهذه العلاقة القديمة بين الحضارات قامت على أساس الصراع، وإنّ الحسم في تلك القضية لا يتم إلا بانتصار الآخر (الغرب)، الذي يقوم بإخضاع الأنا بثتى الوسائل والطرق، وهذا من شأنه أن يترك ويرسخ في سلوك الأنا صورة سلبية ومشوهة عن الآخر، وهكذا يبقى الصراع بين الأنا والآخر قائماً على مبدأ الهزيمة أو النصر. (الشبلي، ٢٠١٩، ص ٣٢).

إن الاختلافات الثقافية والقيم والمعتقدات الاجتماعية واختلاف القيم بين الشرق والغرب (من دين ولغة وثقافة...)، واختلاف الفضاء الاجتماعي الذي لعب دوراً مهماً في تغيير المشاعر والانطباعات وردود الأفعال. (الشبلي، ص ٣٢). فهذه الاختلافات أدت إلى الصراع بين الشرق والغرب فكلاهما مختلف عن الآخر، فكل واحد منهما يمثل نفسه وعرفه ومجمعه وحياته. كما أن طبيعة العلاقة بين الذات والآخر هي علاقة جدلية وشرطية في آن واحد. فالآخر هو الشرط الاساسي لتحرر الذات من نفسها، وحدودها وخروجها للآخر. وترتبط الأنا بعلاقة اختلاف سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء، مع أنا أخرى تكون هذه الأخيرة الآخر، اختلاف الظروف

والأحداث التي يملئها الواقع عليهما لهدف أو انتماء كل منهما، وهي غالباً علاقة تعارض واختلاف، والأنا لا تشعر بوجودها إلا بوجود الآخر. (علام، ص ١٨).

مما سبق يمكن ملاحظة أن العلاقة بين الأنا والآخر ليست ثابتة؛ ففي كل مرة تتغير وتتخذ موقفاً آخر على سبيل المثال تارة الاختلاف، وتارة الرفض له، وتارة أخرى الاحتكاك والتواصل من أجل منه، والصراع من جهة أخرى.

وسيعمد الجانب التطبيقي من الدراسة الحالية إلى بيان صور الأنا، وكيف عمدت الكاتبة إلى ظهر اغتراب الأنا عن مكانها، كذلك بيان صور الآخر ونماذجها في الأعمال، وبيان تفصيلات الصراع بين الأنا والآخر.

المطلب الثاني: التعريف بالروائية

ولدت في بغداد عام ١٩٥٢ وفي جامعتها درست الصحافة. عملت في الصحافة والراديو العراقية قبل انتقالها إلى باريس لتكمل أطروحة الدكتوراة في جامعة السوربون. تشتغل حالياً مراسلة في باريس لجريدة الشرق الأوسط في لندن ومجلة «كل الأسرة» في الشارقة، الإمارات العربية المتحدة. نشرت إنعام كجه جي كتاباً في السيرة بعنوان «لورنا» عن المراسلة البريطانية لورنا هيلز التي كانت متزوجة من النحات والرسام العراقي الرائد جواد سليم. كما نشرت كتاباً بالفرنسية عن الأدب الذي كتبه العراقيات في سنوات المحنة والحروب.

في عام ٢٠٠٤ أعدت وأخرجت فيلماً وثائقياً عن الدكتورة نزيهة الدليمي، أول امرأة أصبحت وزيرة في بلد عربي، عام ١٩٥٩. لها من الروايات «سواقي القلوب» (٢٠٠٥) و«الحفيدة الأميركية» (٢٠٠٨) التي وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠٠٩ وصدرت بالإنجليزية والفرنسية والصينية. (<https://kataranovels.com/novelist>).

المطلب الثالث: لمحة عن الروايات.

رواية "سواقي القلوب" هي التجربة الأولى للكاتبة العراقية "إنعام كجه جي"، صدرت عام ٢٠٠٥، وبكل تأكيد كانت تجربة مميزة ومختلفة، ومؤلمة، للغاية؛ من خلال لفيف من الشخصيات نتعرف على حال العراق أثناء الحرب العراقية الإيرانية وما تلى ذلك، حتى غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق، والذي كان يُعتبر بمثابة نقطة النهاية التي وقفنا عندها، النهاية التي نعرف ما حدث بعدها جيداً، فنرى بوادر المُسببات لتلك النهاية. كاتب و مترجم عراقي منفي بفرنسا بسبب آرائه السياسية، بعقلاً مشغول، وقلباً مغدور من نجواه التي أدارت ظهرها عنه، لتأتي من العدم وتُرسل له قنبلة تحمل اسم "ساري"، وعلى الرغم من التبدل الذي يعيشه والحيرة والتهيه، ولكن بكل تأكيد هذا الظهور لن ينسأه طوال حياته، من التأثير الذي حدث بسببه.

الرواية على قصرها ولكنها تحمل مواضيع شتى، وحكايات كثيرة، من خلال التلاقي بين الشخصيات المُميزة كالأخوات وزمزم، وسراب، وكلاً يحمل مأساته على عاتقه، ويعيش، كلاً لديه هدف وغاية ومستقبل يرنو إليه، ولكن كاتبنا، ما هو هدفه؟ لا يعلم! حالة من الحيرة والتشتت والتخبط في كل شيء، العلاقات والقرارت وحتى العمل، الذي وبشهادته نفسه أقر أنه مترجم جيد إلى الدرجة التي تجعله فخور بترجمة لعملاً ما، ولكنه عند نقطة معينة، يمتلكه اليأس تحت وطأة سؤال: وماذا بعد؟

رواية قصيرة ولكن مليئة بالأحداث والشخصيات، سرد "إنعام كجه جي" دافئ، ورغم غرابة بعض المصطلحات العراقية والأرمنية والتركية والإخ، ولكن لا تزال مفهومة من السياق التي تُذكر به، وبكل تأكيد هذا عمل مشجع لتقرأ باقي أعمال الكاتبة بلا تردد، فمن سمات الكتابة هنا أيضاً أنها لا تتجمل ولا تُزيف ولا تدعي، تكتب بدون خوف أو أحكام مُسبقة، وستجعلك تشمئز وتنفر وتتعاطف مع الشخص نفسه، لأننا بشر، وجميعنا مُتقلبون.

رواية الحفيدة الأمريكية: رشحت لجائزة بوكر للرواية العربية ٢٠٠٩:

قصة صبية عراقية الأصل أميركية الجنسية تلتحق مترجمةً بالجيش الأميركي يوم احتلاله للعراق. رواية تقبض على المأزق العراقي بتفاصيله. والتي تدور أحداثها في العراق بعد الاحتلال الأميركي، من خلال عيني شابة أميركية عراقية الأصل سبق لوالدها أن فرّ هرباً من القمع، تعود إلى بلدها للعمل كمترجمة مع الجيش المحتل، فيوظف فيها المكان الذي وصلت إليه بدافع البحث عن مصدر للرزق ذكريات وأشجاناً، ظنت لفترة طويلة أنها نسيته، تدفعها لمواجهة ذاتها وإعادة ترتيب أولوياتها الروحية من جديد.

رواية طشاري: صدرت عام ٢٠١٤، في ٢٥١ صفحة:

تدور أحداث هذه الرواية العراقية حول تشتت الشعب العراقي، والذي عبرت عنه عائلة وردية، وهي مغتربة، وهذه الرواية تسرد لنا تشتت الأهل، والشعب العراقي في الفترة التي احتل فيها الغزو الأميركي بلد العراق، ففضلوا الهجرة إلى خارج البلاد بسبب ذلك التشابك، ونتيجة لعوامل وبواعث مختلفة: كالمهنة، والزواج، والعيش بسلام.

تشكل شخصية وردية الشخصية المحورية وهي طبيبة، تزوجت من جرجس الرجل الحنون، ولكن كل شيء تغير فهي اغتربت بعد أن تشتت أولادها، بزاق في الأمم المتحدة، عمدة في كندا، ياسمين في دبي، بعد أن غرقا بلادها في الطائفية، وفي الحروب، واجبرتها كما أجبرت الشعب العراقي على أن يهاجر إلى وجهة مجهولة بعد أن ضاقت به السبل؛ أي حين دخل الجيش الأميركي إلى العراق سنة ٢٠٠٣.

وفي آخر الرواية نجد ان الجميع تراجع في الأخير وسط ذهول من اسكندر ابن الجيل الجديد الذي لن يدرك أن تراب الوطن دافئ جداً على جثة وردية، وأبناء شعبه، وعلى الشهيد وأمه، وبقي لهم حلم واحد ولو كان بعيداً، وهو أن يعود كلهم إلى العراق، ولو كان في تابوت.

رواية النبيذة: صدرت عام ٢٠١٧

تروي عن حقبة بين عراق الملكية، وعراق الجمهوريّة، لسيرة عراق زلزلته الحروب، عمرٌ من الأحلام والهزائم العربية ، عبر ثمانون عاماً من تواريخ مختلفة ، موزعة على عواصم وبلدان ، وأعمار ، وظروف سياسيّة ، والعديد من الأقدار والمصادفات.

تبدأ الحكاية من فترة الثلاثينيات تحكي عن تلك المرأة القوية ، الفاتنة والعبقرية "تاج الملوك" ، الصحفية التي غاصت في التاريخ، وبعثرت رفوف المكتبات تُقلب فيها بين ثنايا الصفحات ، والتي استطاعت قراءة الواقع العراقي من أيام الإستعمار الإنجليزي عبوراً بمرحلة الملكية ، ثم مرحلة صدام ، انتهاء بالاحتلال الأمريكي للعراق ، و وصولاً الى مأساة العراق الحديث.

تتداخل الرواية وشخصياتها ببراعة فائقة بين الواقع والخيال، بشخصيات تاريخية حقيقية ومعروفة وأخرى قد تكون مُتخيلة ولانقوى على رفضها ، ولا نريد تصديقها رغم حقيقة ما تقوله إذن رواية يتكامل فيها الزمان والمكان بحكاية أنثى ،وتتصهر فيها الأحداث وتتداخل شخصياتها التي تدور في فلك أنثى ترسم خرائطها كما تشاء متنقلة بين الأماكن والأزمنة في رحلة مشوقة ، تبدو متلازمة من خلال الذكريات والحضور الفيزيائي للشخصية في الأماكن المتنوعة، حتى حين يكون الصوت الروائي المهيم للسارد متخفياً خلف أصوات الشخصيات المتنوعة، وهذه الألفة التي خلقتها الروائية تسللت على ما يبدو من شخصيتها وطبيعتها وصفاتها التي أودعت الكثير منها في شخصية تاج الملوك، فكل مكان وزمان يدور حول الأنثى، وهي محور القصص والأحداث التي تنتثرها شرقاً وغرباً بين قم وكراتشي وبغداد وباريس.

المبحث الثاني: الأنا والآخر في روايات إنعام:

تظهر ثنائية الأنا والآخر بشكل بارز في روايات إنعام؛ لأنها حاولت تضمين هذه الروايات الانتماء والهوية التي تمثلها الأنا، غير أن هذه الهوية كانت مغتربة غير موجودة في مكانها، ولذا كانت الأنا عند إنعام تعاني اغتراب مكاني واضح في أعمالها جميعها، أما الآخر فقد جاء في نماذج متنوعة وإن كان بنموذج العدو أكثر من الصديق. ونتج عن ذلك صراع ظاهر بين الأنا والآخر. ولهذا يناقش هذا المبحث القضايا السابقة في ثلاثة مطالب، وفق الآتي:

المطلب الأول: الأنا والاعتراب المكاني:

المكان : " دال على الإنسان قبل أن يكون دليلاً على جغرافيا محددة، أو دالاً على تقنية تبرز حدوث الوقائع و الأحداث، والمكان (..) هو أساساً مكان الإنسان، مكان يحدد سلوكه، وعلائقه، ويمنحه فرصة الحركة، ويمنعه من الانطلاق." (مرشد، ٢٠٠٥، ص ١٢٨).

ويقول الدكتور عبد الصمد الزايد في الفضاء الجغرافي (المكان) : "فقد غلب على الناس فهمه على أنه قبل كل شيء ظرف أو وعاء أو إطار، ولكن ذلك لا يمثل إلا معناه المباشر المؤلف المُحدّد الظاهر، وأما معناه العميق الواسع فيمكن في العناصر المركبة لعمارتها مهما كان نوعها، فهي الوسيط إليه، وهي محط ما نودعُه فيه من الدلالات، ونحملُه من المعاني " (الزايد، ٢٠٠٣، ص ١٥)

لقد نشأت كثير من الدراسات الفلسفية و النقدية و الأدبية حول المكان، وأهميته التي تتجلى من خلال علاقته بالإنسان الذي يسكنه و يعيش فيه، فالإنسان هو الذي يحدد سمات المكان، تبعاً لظروفه المعيشة، ولطبيعة تكوينه النفسي و الاجتماعي و الفكري، ولعل تلك العلاقة بين المكان و ساكنه التي تتسم بالنفور والهرب، والرفض، أو العشق و الانتماء تفرض طبيعته، أو بالأحرى تلك الرمزية الجمالية التي يحملها التنوع المكاني في حياة الإنسان. وهذا غاستون باشلار في دراسته لجماليات المكان، يقول: " إنها بحث في تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان " (مرشد، ٢٠٠٥، ص ١٣٤)

إن علاقة الشخصية مع المكان تتخذ نمطين أساسيين؛ هما الألفة والعداء، و من الألفة تنشأ مشاعر الحب، والانتماء والفرح، ومن العداء ينشأ شعور الخوف والغربة و العداء، حيث إن : " الانتماء إلى المكان هو الذي يحدد طبيعة العلاقة مع المكان من ناحية الغربة و الألفة ؛ فالمكان الأصلي هو المكان المحوري بالنسبة للشخصية إذا تحققت فيه مطالبها ورغباتها ووجدت فيه الجانب الحيوي، وفي حالة افتقار هذا الجانب تبحث الشخصية عنه في مكان آخر، ومن ثم ي والاتصال بالمحيط " (يقطين، ١٩٩٧، ص ٩٢)

كما تتحدث كحلوش عن تأثير المكان فتقول: "معايشة مكان جميل ونقل تجربته يثير في الذهن مباشرة هناة ذلك المكان، بينما سلسلة الإحباطات التي يعانها المرء في مكان ما تجعل من هذا الأخير مكاناً عدوانياً ". (كحلوش، ٢٠٠٨، ص ٢٧)

من هنا يكتسب الفضاء الجغرافي أهميته، فهو يشكل أداة رائدة في تكوين شخصية الفنان، ويسمح لنا، في الوقت نفسه، باكتناه رؤاه، والولوج إلى عوالمه الداخلية، إذ إن ' الحديث عن تأثير المكان في الناحية النفسية للشخصيات يقودنا إلى معرفة أشمل لخبايا النفس الإنسانية، فتأثير المكان في نفسية الشخصيات غالباً ما يكون أعمق من التأثير في الجسد" (شاهين، ٢٠٠١، ص ١٨)

لقد اتخذ المكان، أو فضاء العراق أهمية كبيرة في الأعمال الأدبية، وخاصة بالنسبة إلى الأديب الذي عانى الشتات، فغدا الوطن أكثر من حدود جغرافية، لقد أصبح أملاً و فكراً و حياة . و إن جوليا كرسيفا لما تحدثت عن الفضاء الجغرافي لم تجعله منفصلاً عن دلالاته الحضارية، فهو إذ يتشكل من خلال العامل القصصي يحمل معه جميع الدلالات اللازمة له ،

والتي تكون مرتبطة بعصر من العصور ، حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعامل ، وهو ما تسميه "الديولوجيم" العصر (Idoilogime) و الاديولوجيم هو الطابع الثقافي العام والغالب في عصر من العصور ولذلك درس دائما في تناصيته ، أي علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة. (الحمداني، ٢٠٠١، ص ٣١).

كانت كثير من الروايات تصر على بروز مفهوم الهوية، وتأكيد قيمة الانتماء إلى الوطن ، وخاصةً في روايات المنفى؛ فقد أبرز كتاب المنفى تطلعهم إلى الوطن ، رغم ما فيه من دمار و خراب ، فأبرز بصورة غير مباشرة الانتماء إلى الوطن.

كما نلاحظ أن الرواية العراقية راحت تعلي شأن الإنسان ، و ظهرت حاملة همومه ، وهناك روايات جهرت بوقوفها الواضح ضد الاحتلال الأمريكي للعراق:

"فالاختلاف أفرز حالات من الصراع جديدة على المجتمع العراقي ، حالات الفئة الواحدة ، والانتماءات الطائفية، و عصابات الميليشيات المسلحة ، و القتل على الهوية ، ثم النهب و سرقة خيرات البلاد من قبل عصابات تاجرا بكل شيء ، حتى جثث القتلى صارت تملأ الشوارع العراقية ، و أكوام المزابيل ، هذه الحالات الكارثية لم تغفلها الرواية العراقية ، بل راحت تعرضها للقارئ ، بأسلوبها الأدبي المؤثر ، و إن كانت بمستويات فنية و أدبية مختلفة و متباينة ، لكنها قد سجلت موقفها الذي ظهر بصورة صرخات رفض لكل ما يمتن كرامة الإنسان العراقي و إنسانيته " (السكاف، ٢٠١٤، ص ١٢٧).

يتجلى الاغتراب في رواية سواقي القلوب في حديث الراوي الذي يحول في باريس، غير أنه يشعر بالغرابة وعدم الانتماء؛ فلا يمكن أن يكون هناك وطن بديل عن الوطن الأم، فما كانت بلاد الغربية جميلة، يبقى الراوي يشعر بالغرابة، فيقول " الغربية، إذ تشفق علينا من هجمات الحنين، تسمح لنا في خلسات مبهمة، أن نغش في امتحان الجلد والمكابرة، وأن نتمسك بهزاد قليل مما جئنا به في حقائبنا، شرط ألا تخلخل النظام المتمدن، سعيداً في جنباؤها، ووفق هذا النظام خلعت عني الغربة أهلي وأصدقاء شبابي" (كجه جي، ٢٠٠٥، ص ٢٨).

فالراوي مطمئن في الغربة، غير أنه يشعر دائماً بعدم الانتماء والتشتت، وهذا ما يجعل الشخصية تشعر بالتشظي، وعدم القدرة على التأقلم مع المحيط، وقد ظهر هذا الحنين منذ بداية حياته التي كانت مليئة بالتنقلات.

إن الراوي في سواقي القلوب شخصية قليلة، حيث إن الأنا مليئة بالقلق منذ الطفولة؛ إذ يتوفى والداه وينتقل إلى بيت عمته، تاركاً بيت والديه ذلك البيت الذي ولد فيه، وأراد أن يعيش حياته مع والديه فيه، وأن يكون أسرته فيه، ولذلك لم يشعر بالانتماء إلى بيت عمه، يقول:

"وكنأ قد انتقلنا إلى حي اليرموك بعد وفاة والدي للإقامة في بيت عمتي... كان بيتاً واسعاً وذا حديقة... لكنني بقيت أحن إلى حينا القديم، وإلى رفاقي فيه..". (كجه جي، ٢٠٠٥، ص ٣٧).

فالأنا تشعر بالاغتراب إلى المكان الأول، وهذا الاغتراب ظهر منذ الطفولة، فتشعر الأنا بالتيه والضياع، ولذا تبقى تتساءل عن موقعها غير عارفة أين هي. فيقول الراوي: " أين هو بيتي؟ ومن أكون؟ ولم يتحتم عليّ أن أنتمي إلى بيت ما.. " (كجه جي، ٢٠٠٥، ص ٣٧). فالأنا لا تستطيع أن تنكر اغترابها، وشعورها بالضياع وعدم الانتماء.

وفي رواية الحفيدة الأمريكية تتجلى الغربة في أكثر صورها، ويمكن استقراء ذلك من العنوان، وعبر الشخصية الرئيسة التي تعاني الاغتراب المكاني، والتشظي عن هويتها الضائعة، تقول زينة:

"لن تصدق ليزا أنني فقدت مؤلفاتي ونفسي تدعوني للانضمام إلى جمعيتها وأنا عاجزة عن الانتماء، وحتى اسمي، ذهبت التي تناديني زينة، زينون، ززن، هل هناك جمعية الحفيدات اللواتي تكلن جداتهن" (كجه جي، ٢٠١٠، ث ١٤٩) وبالتالي فهي تبحث عن أي شيء يؤكد لها هويتها الضائعة، ولهذا استحضرت جدتها باعتبارها رمز العراق والامتداد؛ أي باعتبارها المكان الأصل في حين أن كل ما حولها يشعرها بالاغتراب عن مكانها الحقيقي، وأهلها الأصل. وفي رواية أخرى يتجلى الانتماء بصورة رائعة؛ و هي رواية طشاري؛ حيث إن التوصيف الشعري لهذا الوطن (العراق) ينم عن حب وانتماء هذه البقعة المحملة بذكرات الطفولة والشباب والعمل والعائلة والأصدقاء، فيتخطى الوطن مدلوله المكاني من رقعة جغرافية تكون (مسقطاً للرؤوس) ويتحول إلى وردية إلى (مسقطاً للأفئدة) فيتخطى الوطن المدلول المادي المحسوس إلى قيمة معنوية عالية حتى يصبح هو نفس ووجدان الشخصية حتى يصبح هو الوجود والأمل. ولعل خوف البطلة (وردية) من فقدان الهوية والانتماء هذا الوطن الجريح يفسر خوفها وحرصها على جواز سفرها العراقي ، فهي ال تنظر اليه على انه جواز سفر اعتيادي ، فهو يمثل لها كينونة الانتماء هذا الوطن والواسطة التي ستحقق الأمل في العودة إلى هذا الوطن :

" أفقد بصري و لا أفقده ، هذا الجواز الذي كان هويتي الوحيدة في هذا البلد ودليل وجودي ، أخاف عليه حين أنقله في حقيبة يدي وأخاف عليه حين أتركه في البيت ، لا أنسى حالة الفرع التي أصابنتي ، حينما كنت في دورة دراسية في كارديف و اردت مع زميلات من الهند وكينيا واليونان أن نزرور بروكسل ، كان علينا أن نرسل الجوازات بالبريد إلى السفارة البلجيكية في لندن لطلب التأشيرات ثم تعاد الينا، أيضاً وهو ما فعلته رفيقاتي بدون تردد ، انهن مواطنات دول طبيعية ولا يفقهن "فوبيا الباسبورت" " (كجه جي، ٢٠١٤، ص ١٨)

إن ما يتعلق الشيء تنبأ به ، فحيث يرمز جواز السفر إلى الوطن والخوف من ضياعه هو خوف الشخصية من عدم العودة هذا الوطن، وفقدان الأهل و الأقارب والأحبة في هذه المكان من العالم، أي بشكل أو بآخر يتحدث عن الغربة التي تشعر فيها الشخصية رغم شعورها بالألفة للمكان، لكن شعور الغربة والاغتراب بقي يسكن داخلها ويشعرها بعدم الانتماء، إلا أن القدر

باغت (وردية) ليأخذها ببعد سن الثمانين عاماً، وهي لاجئة في فرنسا وهي عجوز وحيدة بلا وطن ولا عائلة ولا انتماء .

نستنتج مما سبق أن بناء الرواية السردية عبر شخصية (وردية) قد حقق الفكرة المراد إيصالها إلى للقارئ ف (وردية) لا يمكن وصفها بأنها شخصية نامية ، بل شخصية معروف ما ستقوم به ، لأن أحداث الرواية تبدأ من الآن، أي من مضارع الشخصية (الغربية أو المنفى) ، ثم تشرع الشخصية باستذكار طفولتها وشبابها وعائلتها وذكرياتهم في الوطن المفقود (العراق)، لذا يمكن القول إنها تنتمي إلى فئة الشخصيات المسطحة أو المحورية.

ولم تتعد رواية النبيذة عن إظهار الغربية والاعتراب اللتين تعشعان داخل قلب الشخصية الرئيسية، وهي شخصي. تاج الملوك، ولكن في هذه الرواية يكون سبب هذا الاعتراب هو شعور الشخصية ذاتها بعدم الانتماء إلى أي مكان عكس الروايات السابقة التي كانت هي سبب الاعتراب؛ لأن بطلة الرواية تريد أن تكون حرة من كل شيء: "عراقية ذات روح وطنية ووعي قومي؟ لماذا يضيقون عليها عيشتها إذاً" (كجه جي، ٢٠١٧، ص ١٥٥). فهي لم تشعر بالانتماء لأي مكان أو أحد، وتصف نفسها بأنها قلقة غير مستقرة في مكان، أن تستطع يوماً أن تنتمي، فقد تركت بلدها إيران في طفولتها، ومن ثم تركت بيت زوج والدتها في العراق، وبعدها تركت بغداد لترحل إلى كراتشي، ومنها إلى إيران، ومن ثم ما تبقى من حياتها في فرنسا، فهي شخصية مغتربة.

وهكذا، فقد حرصت إنعام على إظهار أثر المكان على الشخصيات بمجملها في أعمالها الروائية، وخاصة الشخصيات الرئيسية التي ظهرت مغتربة، تشعر بعدم الانتماء بسبب عيشها في الغربية وحنينها إلى الوطن، ما عدا شخصية رواية النبيذة التي لم تشعر بالانتماء لأي مكان، وهذا ما يدل على أنها حياتها سلسلة من الغربية والاعتراب غير المنتهي.

المطلب الثاني : الآخر ونماجه في الروايات:

يتجلى الآخر في روايات إنعام بوصفه نقيضاً للأنثى في أغلب الأحوال، ويمكن إجمال أبرز النماذج:

الآخر المعادي:

وقد تشكلت هذه الرؤية من العلاقة الاستعمارية بين الأنثى (العربي) والآخر (الغربي)، وتشكلت من خلال الصراع التاريخي والمستمر حديثاً، وكانت علاقة الأنثى بالآخر علاقة رفض وعداء "قد وجدنا من يدعو إلى نفي الغرب من حياتنا، ويرى الهوية العربية نقيضاً للآخر، وبذلك يبدو خائفاً متحصناً بها..." (حمود، ٢٠١٣، ص ١٧).

في رواية الحفيدة الأمريكية عبّرت الرواية عن صور الأمريكي الاستعماري، وذلك في مشهد ذهاب الجنود الامريكان لإلقاء القبض على الشخص المطلوب؛ إذ تقول المترجمة زينة: "حين

انصرف الليل، انطلقنا إلى بيت ذلك الحقيير في ثلاث سيارات بعد أن طوقنا المحل، وترجل عشرون جندياً وحطوا البيت... كسر أربعة من الجنود الحديدي للحديقة... وركلوا الباب الخشبي، وصاروا في الداخل، وفي الداخل كانت هناك أسرة نائمة" (كجه جي، ٢٠١٠، ص ١٠٥).

وقد لا يكون الآخر هو الغربي؛ إذ صورت إنعام على حالة إحدى مريضاتها وقد تحولت إلى امرأة تحمل حزاماً ناسفاً على بطنها، بدلاً من جنين يسكن أحشائها: ترفع فستانها فتري وردية صدرها محزماً بحشوات بيضاء وبنية وخضراء. لفائف مرصوصة بشريط لاصق مثل نطاق الذخيرة الذي يرتديه الجنود. تتجمد فلا تستطيع الابتعاد. ترى الذراعين تعاودان التشبث بها وكأن صاحبتهما تطالبها بأن تقيدهما فلا تفعل ما عليها ان تفعل. تتفاعل العين الأربع ويتشابك الرعب فيها. فرغ الحيوان أمام بندقيّة الصياد. تحفر الصياد في مواجهة الطريدة. تهرب الفراشة إلى الخارج وهي تصرخ: حزام مفخخة" (كجه جي، ٢٠١٣، ص ١٢٤).

إن صورة الآخر هنا صورة الإرهابي دون تحديد هويته، فكيف للمرأة التي تصنع الحياة بالحمل والولادة تصبح أداة للقتل والموت الممزق للأجساد والنفوس؟! . وقد هيمن الفعل المضارع على المشهد الإرهابي الواصف للفعل الإجرامي.

الآخر الصديق:

إن ما يحسب للدراسات الأدبية المعاصرة عموماً أنها اهتمت بتسليط الضوء على إشكالية الهوية في مواجهة الآخر، حيث تكرست الصورة النمطية في الموروث الثقافي والفكري منذ القديم، وساعد في نشأتها الظروف التاريخية والسياسية بامتياز، مما أدى إلى اتساع الصورة بين الأنا والآخر الذي زادت حدتهما في عصرنا هذا خاصة بعدما "تركزت أحداث سبتمبر ٢٠٠١م بصمتها على الضمير العربي مما أرق الفكر والإبداع، لذلك من الطبيعي أن يزداد إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية" (حمود، ٢٠١٣، ص ٧).

في رواية الحفيدة الأمريكية لم تكنف الكاتبة بإبراز صورة الآخر السلبي، بل أظهرت صورة الآخر الصديق لزينة بطلة الرواية؛ إذ إن مكوث زينة بأمريكا لم يجعل منها إنسانة معقدة متعلقة، بل سعت إلى الانفتاح على الآخر الأمريكي، حيث ربطت علاقة مع شخص يدعى كالفن"، واتخذت منه صديقاً لها، كان بمثابة الجسر الذي يوطد العلاقة بيني الشر والغرب، بين العراق وأمريكا وبين الرجل والمرأة بني الحب والحرب، وباستثناء "كالفن"، كان معظم الذين اختلط بهم من العرب:

"أنت يا عزيزي ممثل للجالية الأمريكية بيننا. وكانت تعجبه تلك المداعبة، مثلما يعجبه أي شيء أقوله، ماي كالفن، كالفني السكير الوديع، العاطل عن العمل معظم أشهر السنة، الذي يفرح عندما يرتفع صوتي مع الأصدقاء ويتصور أننا نتشاجر" (كجه جي، ٢٠١٠، ص ٢٢).

اعتبرته زينة ممثلاً للجالية الأمريكية بني العرب، فقد كان الصديق الودود والحمل الوديع الذي تستند إليه، كان معجبا هبا، وبكل ما تتفوه به خاضعا مداعباتها، وكان إنساناً رقيقاً مسالماً لا يتحمل الأصوات المرتفعة أثناء النقاش، كان بمثابة الصديق المثالي بالنسبة لها، وعزاؤها الوحيد الذي تفرغ عنده معها خاصة في الأيام الأولى عند التحاقها بالعراق إن إعجاب زينة "بكالفن" يمثل لنا مرونة الاندماج في المجتمع الأمريكي وفتح الآخر، وسعيه لإقامة صداقات رغم اختلاف الفكر والثقافة والمعتقد.

وفي رواية طشاري تظهر صورة الآخر الصديق من خلال عمل هندة ابنة وردية في الشمال الأمريكي، أغلب سكانها من الهنود الحمر، حيث تجد فيها أجواءً مشابهة لأجواء العراق وناسه اللطفاء

" يشعرا كل ذلك الود بالخرج، إن العاملين في المستشفى يدللونها لكي تبقى معهم ولن تهرب مثل كل الأطباء، وحتى المرضى الذين حذروها منهم كانوا طبيين معها، بسطاء يفرطون في الطعام والشراب والمخدرات ويعيشون على المساعدات الحكومية في محميات خاصة، كأن الدولة تعزلهم وتقدم لهم الرشاوى وتشجعهم على ذلك النمط من الحياة، تلهيهم بالخمير والحشيش كي تتجنب مشكلاتهم وتصرفهم عن المطالبة بحقوق أخرى" (كجه جي، ٢٠١٣، ص ٢٢٢)

فالهنود الحمر جماعات جارت عليهم الدول وشتتهم في أرجاء أمريكا بعد ان اغتصبت حقهم وسرقت ارضهم، فوجه الشبه كبير بين حاضر هذا الشعب وحاضر العراق بعد تشتته وتفرق أبنائه، وهنا يمكن عد ذلك معادلاً موضوعياً لحال العراق، فيكون الآخر صورة مطابقة عن الأنا.

المطلب الثالث: الصراع بين الأنا والآخر:

يتجلى الصراع بين الأنا والآخر في بعض روايات إنعام، ويبرز بشكل واضح، حيث تبني إنعام روايتها الأولى على فكرة الصراع بين الأنا والآخر الذي مثله المجتمع بأسره؛ إذ جعلت الشخصية الرئيسية ساري أو سارة، وهو أنثى بجسد ذكر، وهنا يبدأ الصراع بين الشخصية و ذاتها، لتنتصر لرغباتها، ويتحول من ساري إلى سارة بعد إجراء عملية، ويفتخر بنفسه غير آبه، بنظرة المجتمع: "الاسم الجديد يا آنسة: سارة.. سارة نايف محمود.. اسم جميل.. مثل ساري.. والدتي أيضاً كانت تحب اسم ساري" (كجه جي، ٢٠٠٥، ص ٩٠)

فمن خلال هذا الحوار تتجلى فيه الجرأة الجنسية، إذ تحول من ساري إلى سارة وهو فخور بهذا التحول، إذ لم يأبه لنظرة المجتمع الشرقية، فبتحوله إلى أنثى شعر بالتصالح مع نفسه، والانتماء إلى ذاته.

في رواية الحفيدة الأمريكية؛ إذ تحاول الكاتبة أن تجمع الأنا والآخر في شخصية زينة، لأنها مجنونة أمريكية، وفي الوقت ذاته فتاة عراقية، ولذلك نجدها تنطلق في رحلة البحث عن ذاتها

الحقيقية، ونجدها تذكر أسباب التحاقها بالجيش الأمريكي، ومن هذه الأسباب رغبتنا بخدمة جنسيتها الجديدة فضلاً عن العامل المادي، ولكن ما أن عادت إلى العراق حتى صارت تعاني من القلق ومن مظاهر القلق لديها شعورها بأنها أميركية بوجهين؛ ما يعني أنها تمثل الأنا العراقية، والآخر الخارجي المعادي، وتقول لنفسها: "أقول للأخرى التي هي أنا أن هناك أطفالاً يفزعون وأبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد" (كجه ٢٠١٠، ص ٢٤) والصراع هنا صراع بين الانتماء الأصلي، وبين الجنسية والمادة.

تعرضت أنعام في هذه الرواية بالتحديد لتأثيرات المتباينة للاحتلال على الأنا أو الذات العربية، ويمكن في هذا النوع من صور الآخر أو تمثلاته، أي للآخر الخارجي أن يكون معادياً أو أن يأتي تقديم صورة الآخر هنا وفقاً للمعايير الفكرية المسبقة التي تحملها الشخصية العربية عن الآخر، واستناداً إلى مواقفها المتباينة حيال قضايا الشعب أو الوطن والأمة العربية، ويتمثل ذلك في هذه الرواية، حيث يظهر الصراع من الاسم المختار لها، وتم تفعيل هذا الصراع في كل جزئية منها، وكمثال لذلك مهيمن الذي يرى بزينة الآخر أو المحتل الأمريكي لبلدة لأنها جاءت معهم مع انها تتمثل ذلك الآخر العراقي المسيحي الداخلي الموجود في ارض الوطن والمختلف عنا دينياً.

نجد شخصية مهيمن المسلم العائد توأ من الأسر في إيران والذي تشهد شخصيته تحولاً درامياً من الماركسية إلى العمل مع التنظيمات الإسلامية في مقاومة الاحتلال الأمريكي تبنى أحداث الرواية حول لقاء مهيمن المسلم مع زينة المسيحية، وما ينتج عن ذلك من اختلاف الأيديولوجية والعادات والقيم ، إلا أنهما يلتقيان في الانتماء إلى وطن واحد، فالآخر الأمريكي معادي من وجهة نظر مهيمن وهو صديق من وجهة نظر زينة، وذلك حسب الخلفيات الأيديولوجية لكل شخصيات التي تنظر إلى الآخر. وهنا يظهر الصراع بين الأنا والآخر، ويتجلى بشكل واضح في الحوار الآتي:

اسمع انا لن ابقى طويلاً سينتهي عقدي بعد شهرين .

بل يجب أن تبقي للنهاية ألم تقولي انك تحبين السينما؟

ليس وقت مزاح.

لن تهربي قبل أن تشهدي فلم خروجكم من هسا البلد...

هل أعددتكم ما يكفي من طائرات لنقل كل العملاء؟

أرجوك أنت تؤذيني.

لا بأس قليل من الأذى لا يميت، هل تعرفين طالب شنون؟ حسن عبد الأمير ؟ مظفر

الشطري؟...

لماذا جئتم؟؟

خلصناكم من صدام

طردتم كينغ كونغ من المدينة وقبضتم الثمن العراق كله.. (كجه جي، ٢٠١٠، ص ١٨٤) وفي رواية طشاري يتأجج الصراع بصورة واضحة في رفض أنا الشخصيات جميعها للوطن البديل؛ فمثلا نجد شخصية هندة الابنة البكر لوردبة ما عاشت "هندة" في الديوانية مع أمها ووالدها؛ أي "وردية و جرجس" شاءت الظروف أن تقذفها إلى كندا، فغادرت الديوانية مع زوجها "سلام"، و ابنتها "مريم"، و لهذا الاغتراب عامل أساسي دفعها إلى الخروج من الديوانية، ألا وهو دراستها وعملها كطبيبة هناك، فكندا كانت بلد غربتها في ذلك الزمن، الذي كانت تحلم بأن تكون طبيبة وذلك يتضح في المقطع السردى " كندا فرضت علي ذلك، وأتت على دلالي بالضربة القاضية" (كجه جي، ٢٠١٤، ص ٥٧)

ففي هذا المقطع نحس بمعاناة الذات المغتربة نفسياً، على الرغم من أن هذه الشخصية اغترابها لم يكن اضطرارياً بل مخيراً، فحين أن الديوانية كانت تعني لها أحسن مدينة مئة مرة، يأتي الصراع بين الأنا الطامحة إلى التقدم وبين العيش في مكان غريب من كافة النواحي، فيكون الصراع ظاهر واضح.

إن المنفى أو الهجرة نحو الآخر (الغرب) له حضور مكثف وعالي في الرواية ، فالغربة تنقل بوطأتها على (وردية) ولا سيما أنها لا تملك عمالاً او تنفع الناس به ، لذا نرى سيطرة فكرة الموت على ذهنها ، وهل تقضي به وقتها ستدفن في الوطن البديل او في الوطن الام . انا اعتقد انه هاجس كل مغترب عن وطنه ، فالبطلة هنا تحكي قصة اللاجئين العراقيين ومعاناتهم ، تحكي قصة الأرواح المعذبة البيت اقتلعت من الجذور لتحاول النبات في أرض جديدة بعيدة عن هاجس الموت والفقر ، حيث ان أغلب طالبي اللجوء أصبحوا من العراقيين والعرب الذين يحاولون الاحتماء بالغرب هرباً من نيران بلدانهم ، فالوطن البديل (فرنسا) لم تختاره (وردية) فلا حبيب لها ولا عائلة فيه ، لذا نراها تصرح :

"إن ما أخذها إلى فرنسا هو اليأس والكثير من القرف، القرف ذاته الذي دفع ياسمين إلى القبول بزواج جاءها بالمراسلة، خطبها من شقيقتها بالتلفون وبعث لها الخاتم مع ارامكس وتسلمها في مطار دبي مثل طرد بالبريد المضمون، هربوها من البلد بعد رسائل التهديد التي كانت تُرمى من فوق السياج ، يجدونها في الصباح مثل طائر ميّت ملقى على الثيل الأخضر المعتنى به" (كجه جي، ٢٠١٤، ص ١٢٩).

وفي رواية النبيذة يظهر الصراع بين الأنا والآخر، عبر تاج الملوك التي تحاول إثبات ذاتها، وهذا الأمر يشكّل اهمية فائقة لها، ولهذا تحاول إعلاء شأن الأنا وترفض تغيير اسمها او اختصاره، وأما الآخر هنا هو زوج أمها السيد عبد المجيد الشريف الذي تزوج زينة السادات والدة تاج الملوك، ومنح اسمه لتاج الملوك حذف الملوك، من اسمها فصار تاجي عبد المجيد

الشريفي: " لكن البنت لم تحب اختصار اسمها، تتمرد ولا ترد على من يناديها بنصفه، تدرك بذكائها المبكر أن ذاك الاسم هو كل ما تبقى من حياتها السابقة، تاج الملوك حليتها وإرثها، وعلامة تميزها" (كجه جي، ٢٠١٧، ص ٥٦).

إن في رفضها للاسم الجديد تمسك بهويتها التي سلبت منها؛ فهي فتاة إيرانية ولدت في إيران من أبوين إيرانيين وهذا الاسم هو آخر ما تملكه من حياتها السابقة، وعلى الرغم من تعدد هوياتها وتغيير الأسماء التي أطلقت عليها وسمت نفسها بها فقد استمرت بالتمسك باسمها الأول، لأنه الاسم الذي تجد لها هويتها وذاتها.

وهكذا، فإن إنعام حرصت في روايتها على إظهار المعاناة والتشظي الذي تعاني منه الأنا، وإظهار الصراع الذي تعانيه مع الآخر من أجل إثبات الهوية، وتأكيد الذات؛ لأن الآخر في أغلب نماذجه جاء ضد الأنا، وغير متوافق مع ذاتها.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة تقديم لمحة عن صورة الأنا والآخر في روايات إنعام، وهي في أعمالها تحرص على تعميق هذه الصورة بشكل بارز، فكانت أعمالها محاولة لإبراز الانتماء والهوية، وبعد هذه الرحلة البسيطة، توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- تناولت الروائية الغربية في جميع روايتها بكل أبعادها النفسية والاجتماعية، وجاءت أغلب شخصياتها غير متألفة مع المكان بالرغم من استقرارها فيها لمدة طويلة، إلا أن الرغبة الجامحة في العودة إلى الوطن لم تشعرها بالانتماء الحقيقي للمكان.
- حاولت إنعام أن تجعل الأنا لشخصياتها، ضائعة تائهة، وكل منها يتساءل عن مكانه في العالم أو عن معنى الحياة وسبب الوجود فيها، كل ذلك بسبب الاغتراب المكاني؛ لأن المكان يرمز إلى الهوية والوجود.
- ، تشعر الأنا في شخصيات إنعام بعدم الانتماء بسبب عيشها في الغربية وحنينها إلى الوطن، ما عدا شخصية رواية النبيذة التي لم تشعر بالانتماء لأي مكان، وهذا ما يدل على أنها حياتها سلسلة من الغربية والاعتراب غير المنتهي.
- حرصت في روايتها على إظهار المعاناة والتشظي الذي تعاني منه الأنا، وإظهار الصراع الذي تعانيه مع الآخر من أجل إثبات الهوية، وتأكيد الذات؛ لأن الآخر في أغلب نماذجه جاء ضد الأنا، وغير متوافق مع ذاتها.
- إن صورة الآخر الخارجي مرتبطة بصورة الذات ومشكلاتها، فتكون صورة ذلك الآخر سلبية من ناحية المبدأ في صورة من اختلاف القيم واختلاف الحضارات، وذلك ما عمق الصراع بين الأنا والآخر.

المصادر:

كجه جي، إنعام: سواقي القلوب، دار الفارس للنشر، الأردن، ط ١، ٢٠٠٥.

• الحفيدة الأمريكية، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠١٠.

• طشاري، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٤.

• النبيذة، دار الجديد، لبنان، ط ١، ٢٠١٧.

المراجع:

١. البازغي، سعد، وميجان الرويلي دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٧.

٢. بوزواوي، محمد، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، ٢٠٠٣ م.

٣. جنيدي، رضوان، الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، عمان، ط ١، ٢٠١٥.

٤. الحمداني، حميد: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي

للتباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط ١، ٢٠٠٠.

٥. حمود، ماجدة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٣.

٦. الزايد، عبد الصمد: المكان في الرواية العربية: الصورة والدلالة، كلية الآداب، صفاقس

: دار محمد علي للنشر، ٢٠٠٣.

٧. السكاف، حسين، الرواية العراقية... صورة الوجع العراقي" دار الروسم، بغداد ٢٠١٤.

٨. شاهين، أسماء: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات

و النشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١.

٩. الشلبي، إبراهيم خليل، الذات والآخر في الرواية السرية، فضاءات للنشر، سوريا، ط ١،

٢٠١٩.

١٠. علام، عمرو عبد العلي، الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر

المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤.

١١. كحلوش، فتحية، الشعري بلاغة المكان: قراءة في مكانية، بيروت: مؤسسة الانتشار

العربي، ط ٢، ٢٠٠٤.

١٢. لبيب، طاهر، صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية،

لبنان، ١٩٩٩.

١٣. محمد، طارق زياد، تعدد مفهوم الآخرين في الدراسات الثقافية؛ قضايا الأدب، جامعة

البويرة، المجلد ٥، ص ٢، ٢٠٢٠ م.

١٤. مرشد: د. أحمد: البنية و الدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية

للدراستات و النشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥.

١٥ . يقطين، سعيد، قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧.

Sources:

- Inaam Kachachi, Drivers of Hearts, Al-Faris Publishing House, Jordan, 1st edition, 2005.
- Inaam Kachachi, The American Granddaughter, Dar Al-Jadeed, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 2010,.
- Inaam Kachachi, Tashari, Dar Al-Jadeed, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2014.
- Inaam Kachachi, Al-Nakhina, Dar Al-Jadeed, Lebanon, 1st edition, 2017

The reviewer:

1. Allam, Amr Abdel Ali, The Self and the Other, the Arab Personality and the Israeli Personality in Contemporary Thought, Dar Al-Ulum for Publishing and Distribution, Beirut, 2004.
2. Al-Bazghi, Saad, and Megan Al-Ruwaili, The Literary Critic's Guide, Arab Cultural Center, Beirut, 2017.
3. Bouzawi, Muhammad, Dictionary of Literary Terms, Dar Madani, 2003 AD.
4. Junaidi, Radwan, The Ego in Ancient Moroccan Poetry, Dar Al-Ayyam, Amman, 1st edition, 2015.
5. Al-Hamdani, Hamid: The structure of the narrative text from the perspective of literary criticism, Arab Cultural Center for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1st edition, 2000
6. Hammoud, Majda, The Problem of the Ego and the Other (Arabic Novelist Models), World of Knowledge, Kuwait, 2013.
7. –Sakkaf, Hussein, "The Iraqi Novel... A Picture of Iraqi Pain," Dar Al-Rosum, Baghdad 2014.

8. Shaheen, Asmaa: The Aesthetics of Place in the Novels of Jabra Ibrahim Jabra, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 2001.
9. Al-Shalabi, Ibrahim Khalil, The Self and the Other in the Secret Novel, Fadaat Publishing, Syria, 1st edition, 2019,
10. Kahloush, Fathia: Poetic Rhetoric of Place: A Spatial Reading, Beirut: Arab Diffusion Foundation, 2nd edition, 2004.
11. Labib, Taher, The Image of the Arab Other Looking and Looking at Him, Center for Arab Unity Studies, Lebanon, 1999.
12. Muhammad, Tariq Ziyad, The Multiplicity of the Concept of Others in Cultural Studies; Literature Issues, University of Bouira, Volume 5, p. 2, 2020 AD.
13. Mentor: Dr. Ahmed: Structure and Significance in the Novels of Ibrahim Nasrallah, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 2005.
14. Yaqtin, Saeed, the narrator said: Narrative structures in popular biography, 1st edition, Casablanca: Arab Cultural Center, 1997.
15. Al-Zayed, Abdel Samad: Place in the Arabic Novel: Image and Connotation, College of Arts,,; Sfax: Muhammad Ali Publishing House, 2003.